

هل قول الله {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} اكتفاء بالإقرار بالربوبية عن الإقرار بالإلهية؟

الاستدلال بآية أخذ الميثاق على بني آدم حيث يقول الله تعالى فيها: {إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنَّا نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢]، فقالوا: إن الله تعالى قال هنا: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، ولم يقل: أَلَسْتُ بِإِلْهِكُمْ، فاكتمى منهم بالإقرار بالربوبية، وهذا يدل على اتحاد مفهومي الربوبية والألوهية، وأن المطلوب من الإقرار ب (لا إله إلا الله) هو ما ذُكر في هذا الميثاق وهو الإقرار بأنه الربُّ وحده، فيكون معنى (لا إله إلا الله) أي لا خالق ولا ربَّ سواه.

الرد:

أولاً: ذكر الربوبية في الآية لا يدلُّ على نفي الألوهية، ولا اتحادها مفهومًا مع الربوبية، بل ذكرُ الألوهية حاصلٌ هنا بدلالة اللزوم، فالإشهاد على الربوبية والإقرار بها له لازم يجب أن لا ينفك عنه وهو حصر استحقاق العبادة بالربِّ الخالق المالك وحده سبحانه دون سواه.

قال الشيخ محمد بشير السهسواني: «إن الإقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بدهية، وهي: أن غيرَ الربِّ لا يستحق العبادة يقتضي الإقرار بتوحيد الألوهية عند من له عقل سليم وفهم مستقيم، فيكون الإقرار المذكور حجةً عليهم، كما احتجَّ اللهُ تعالى على المشركين بتوحيد الرزق ومالكِ السمع والأبصارِ ... على وحدانية الألوهية»^(١).

ثانيًا: لفظُ (الربِّ) و(الإله) يجتمعان في دلالة أحدهما على الآخر في نفس الأمر، فالربُّ هو المستحقُّ للألوهية، والإله الحق لا بد وأن يكون خالقًا رازقًا، وهذا الأمر لا يكون إلا في حقِّ الله سبحانه وتعالى، فقوله في الآية: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} دالٌّ على معنى الألوهية، إذ إفراده بالربوبية مستلزم لإفراده بالعبادة، أما ما عُبدَ من دون الله تعالى فيُسمَّى إلهًا باعتبار حصول تلك العبادة له، لا باعتبار استحقيقه لها أو حصول موجبها وهو الربوبية.

ثالثًا: أن يكون في الآية اختصارًا، ويكون المعنى: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وإلْهِكُمْ، قال الشيخ محمد السهسواني: «الاحتمال الثاني: أن في الآية اختصارًا والمقصود: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وإلْهِكُمْ؟ يدلُّ عليه أثر ابن عباس رضي الله عنه: «إن الله لما مسح صلب آدم فاستخرج منه كلَّ نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالأرزاق»^(٢)»^(٣).

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، السهسواني، ص(٤٣).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره، ص(١١٢/٩/٦)، من غير لفظ (وتكفل لهم بالأرزاق).

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، السهسواني، ص(٤٤٦).